
دار الثقافة
دور العقل فى المسيحية
جون ستوت
ترجمة
رضا لمعى

دور العقل فى المسيحية

Your Mind Matters

تأليف

د. ق جون ستوت

ترجمة

د. رضا لمعى الجمل



طبعة أولى

صدر عن دار الثقافة - ص. ب. ١٢٩٨ - القاهرة

١٠ / ٥٠٤ ط١ /٣ - ٣ / ١٩٩١

رقم الايداع بدار الكتب ٣٨٣٦ / ١٩٩١

طبع بمطبعة دار الطباعة القومية

جمع فى سيوبرس ت: ٩٠٦٦٨٣ - ٩٠٠٥٧٦

تصميم غلاف: نادر جرجس

مقدمة

هذا الكتاب يناقش قضية هامة تشغل الناس هذه الأيام.

هل المسيحية ديانة روحية لا تعتمد على العقل والمنطق؟ ومن ثم على المسيحى ألا يفكر بل يحيا خبرة روحية دون محاولة السؤال عن شئ أو تفهم الحقائق الكتابية.

وإن كان الأمر كذلك فهل يمكن أن يكون الإنسان عالما ومسيحيا فى نفس الوقت، أو لنسأل هل المسيحية تتعارض مع المنطق والعقل والعلم؟

وإن كان الله خلقنا على صورته وخلق فينا عقولاً تدرك وتفهم ويريدنا أن نحافظ على هذه الصورة فهل لا يسمح لنا أن نستخدم عقولنا فى فهم مضمون الإيمان المسيحى؟

ويقدم لنا المؤلف المعروف دكتور جون ستوت بأسلوبه المتميز دراسة ممتعة عن دور العقل مثبتا رأيه من كلمة الله ليؤكد لكل مسيحى أن العقل هبة ثمينة من الله يجب أن يستخدمها.

نقدم هذا الكتاب لك أيها القارئ راجين أن يكون سبب بركة وتقدم فى حياتك.

دار الثقافة

الفهرس

الموضوع	رقم الصفحة

الفصل الأول

مسيحية بدون عقل

كتب بولس الرسول عن اليهود غير المؤمنين فقال: " لأنى أشهد لهم أن لهم غيرة لله، ولكن ليس حسب المعرفة" (رو ١٠: ٢). وهذا ما قد ينطبق - مع الأسف - على المؤمنين المسيحيين فى أيامنا هذه. فالكثيرون لهم غيرة بلا معرفة. إنى أشكر الله لأجل الغيرة ... وعندما يوجه الكتاب أنظارنا إلى الغيرة التى ليست حسب المعرفة، فهذا لايعنى أن تكون لنا معرفة بدون غيرة، بل المقصود هو أن تكون لنا الغيرة التى توجه بالمعرفة، والمعرفة التى تتقد بالغيرة.

إن روح عدم استخدام العقل هى الروح السائدة فى أيامنا هذه. والعالم الآن يمتلئ بالفلسفة التى تركز على النتائج العملية، وتهمل صدق أو سمو الفلسفة. فشباب اليوم قد يكون نشيطا، ويندفع بإخلاص لتأييد قضية ما. لكنه قليلا ما يقف مع نفسه متسائلا: هل لهذه القضية هدفا ساميا؟

وهل أسلوب تناولى هذه القضية هو الأسلوب الأمثل لتحقيق هذا الهدف؟ قرأت عن طالب استرالى كان يحضر مؤتمرا فى السويد. وعندما بلغه أن طلبة الجامعة التى ينتمى إليها بدأوا مظاهرات احتجاج قال: إنه لما يؤلمنى أن أكون بعيدا عن وطنى فى هذه الآونة، وأتمنى لو أستطيع أن أعود على جناح السرعة لأشاركهم احتجاجهم. وأخيرا تساءل: ولكن ماأسباب هذه المظاهرات؟

هذه صورة واضحة للحماس مع الجهل.

قال أحدهم: مايحز فى نفسى أن أرى هذا الجيل وقد ساد عليه روح الجهل. بل إن هذه الروح بدأت تسرى فى كنائسنا. ودعونا الآن نسرد فى عجالة بعض مظاهر تسرب روح عدم المعرفة فى الكنائس المسيحية.

أولا: فى الكنائس التقليدية

هذه الكنائس تركز بشدة على الطقوس والطرق المثلى لممارستها. والخطورة هنا تتمثل فى أن الطقس غالباً مايتحول إلى عادة، ويمارس بشكل آلى، وبلا وعى. ويصبح فى النهاية هدفا لا غاية. وهكذا تتحول العبادة إلى عبادة آلية. لادور للذهن فى ممارستها. وتصبح عبادة بلا معنى.

ثانيا: فى الكنيسة الراديكالية - (Radical Christians)

تركز طاقتها على النواحى الاجتماعية والسياسية. والاتحادات العالمية لهذه الجماعات لم تعد تهدف الى وحدة الكنيسة، أو الإيمان، لكنها اتجهت إلى إطعام الجياع، والعمل على إيواء المشردين، وإنصاف المظلومين، ومحاربة التفرقة

العنصرية، والنهوض ببرامج المساعدات التى تقدم للبلدان النامية، ودعم الحركات الثورية التى تشب فى البلدان المطحونة.

ومع أن موضوع العنف وتورط الكنيسة فى السياسة من الأمور المثيرة للجدل، إلا أنه يجب ألا يتقاعس المسيحيون عن القيام بدورهم فيما يتعلق بالنضال من أجل رفاهية الإنسان وكرامته وحريته. ومن الناحية التاريخية، يمكننا القول إن مادفع الحركة المسكونية إلى ذلك هو فقد الأمل فى الوصول إلى إتفاق فى المسائل المتعلقة بالعقيدة. ولذلك انخرطت الحركة المذكورة فى النشاطات التى سبق ذكرها بعد أن أخفقت فى الوصول إلى صيغة لاهوتية، وهى مسألة لا يمكن إهمالها إذا ما أريد إصلاح كنائس العالم وتجديدها، ناهيك عن وحدتها.

ثالثا: الكنيسة الخمسينية

هذه الكنيسة ترتكز على الاختبار كمعيار رئيسى للتعبير عن الحق. وإذا نحينا جانبا ما يثار حول صحة إدعاءات وأهداف هذه الكنيسة ونجد أن من أخطر ماتنادى به بعض الكنائس الخمسينية الجديدة على الأقل، القول بأنه لاشأن للعقل بالعقيدة، ومعارضتهم كل من يقول خلاف ذلك.

قال أحدهم إن مايهمنا بالدرجة الأولى ليس التعليم بل الاختبار، أى أننا نضع اختباراتنا الشخصية فوق كلمة الله المعلنة - بل لقد ذهب البعض وقال إن الله قد يضع فى أفواه بعض الناس كلمات غير مفهومة للعقل لكى يتضع عقلهم المتكبر المفتخر .. نعم فبكل تأكيد يحتقر الله افتخ ار الإنسان، لكنه لا يحتقر

إطلاقاً عقله الذى صنعه هو بنفسه. هذه الاهتمامات الثلاثة ... الطقسية بطقوسها، والراديكالية بالجانب الاجتماعى، والخمسينية بالجانب الاختبارى .. ماهى إلا أعراض لمرض واحد ألا وهو إهمال دور العقل. إنهم يتخذون من هذه الاهتمامات ذريعة لكى يتجنبوا المسئولية المعطاة لنا من الله بأن نستخدم عقولنا بما يتفق وفكرنا المسيحى.

وإن كنت قد عبرت عن الجانب السلبى، أود أن أضع عنوانا فرعيا لهذا الكتيب هو: "خطورة إلغاء دور العقل لدى بعض الطوائف المسيحية".

أما من الناحية الإيجابية فسأحاول أن ألخص دور العقل فى الحياة المسيحية. ولسوف يغطى حديثى المجالات التالية:

فى الفصل الثانى، وكمقدمة، سأعرض بعض الحجج - العلمانية والمسيحية - والتى توضح أهمية الدور الذى يلعبه الذهن فى المسيحية.

وفى الفصل الثالث، سأتحدث عن ستة أوجه من الحياة المسيحية والمسئوليات المنوطة بها والتى لايمكن بأية حال تجاهل دور الذهن فيها.

وفى الختام سأورد بعض التحذيرات من مغبّة الاندفاع نحو إلغاء دور العقل والإفراط فى العقلانية. أى أننى لا أقصد مسيحية أكاديمة متزمتة، بل مسيحية تقوية بالروح والحق، بروح اتزان كتابى بعيدة عن التعصب والتطرف. ولسوف أبين بالإقناع أن علاج نزعة التطرف والمبالغة فى استخدام العقل لا تتأتى بالتقليل من شأنه أو إهماله، بل بتوظيفه فى الإطار الذى عينه الله كى يقوم بالدور الذى خلقه الله من أجله. وأن يكون السلوك حسب المعرفة.

الفصل الثانى

لماذا نستخدم عقولنا ؟

لماذا يجب على المسيحى أن يستخدم عقله؟

إن كل مسيحى له غيرة لأجل إنتشار الإنجيل وتمجيد اسم المسيح على مستوي العالم كله ينبغى أن يستخدم عقله .. فالفكر له قوة تستطيع أن تتحكم فى تصرفات الإنسان. والتاريخ يوضح لنا هذا بجلاء. فكل حركة قوية كانت لها فلسفتها الخاصة، وهذه الفلسفة نبعت أولا من الفكر، ثم ألهبت الخيال وتحكمت فى الإرادة. ولعلنا لمسنا فى تاريخنا المعاصر قوة التأثير لأفكار أشخاص مثل ماركس، وماو وغيرهما، حتى قال أحدهم: إن أعظم الغزاة من أيام الإسكندر حتى القياصرة، ومن أيام القياصرة حتى نابليون أثروا تأثيرا بالغاً فى أجيالهم، والأجيال التى تلتهم. ولكن المحصلة النهائية لهذا التأثير تتضاءل وتتلاشى إذا ماقورنت بالتغيير الشامل الذى طرأ على عادات الناس وتفكيرهم بتأثير نخبة

عريضة من رجال الفكر بدءاً من أيام ثاليس وحتى أيامنا هذه. وهؤلاء الرجال، كأفراد، كانوا لا حول لهم ولا قوة، إلا أنهم فى الواقع غيروا مجرى التاريخ وحكموا العالم.

وعالم اليوم يزخر بأفكار ونظريات كثيرة، وهى وإن لم تكن خاطئة فى جملتها، إلا أنها لا تتفق وإنجيل المسيح .. وقد تقول إننا نريد أن نربح العالم للمسيح. لكن لماذا؟ وماهى نوعية هذا الربح؟ بالطبع ليس هو الربح الناجم عن استخدام القوة (أى قوة الجيوش) فالحرب المسيحية تختلف عن الحروب الصليبية المخزية التى جرت فى العصور الوسطى.

يقول الرسول بولس عن محاربتنا: "إذ أسلحة محاربتنا ليست جسدية بل قادرة بالله على هدم حصون. هادمين ظنونا. وكل علو يرتفع ضد معرفة الله ومستأسرين كل فكر إلى طاعة المسيح" (٢كو ١٠: ٤- ٥). هنا نرى حرب الأفكار، أو الحق الإلهى يهزم كذب الإنسان، فهل نؤمن بقوة الحق الإلهى؟.

قال أحدهم: إن الأفكار أقوى من الجيوش، لأن الأفكار إذا تأسست على العدل والحق، فستتغلب على الأسلحة والجيوش.

وبعد هذه المقدمة السريعة التى وضحت لنا قوة الفكر. تعالوا بنا نستعرض الأسباب التى تدعو المسيحى لاستخدام فكره. إن التعاليم العظيمة الخاصة بالخليقة والإعلان والفداء والدينونة تفرض على الإنسان واجبا لا مفر منه، وهو أن عليه أن يفكر ويعمل طبقا لما يمليه عليه فكره وماتهديه إليه معرفته.

أولا: لقد خُلقنا لنفكر .. سنبدأ بالخليقة. لقد خلق الله الإنسان على صورته، وإحدى الصفات السامية الإلهية التى نشبه فيها الله هى القدرة على التفكير .. حقيقة هناك مخلوقات دون الإنسان تمتلك عقولا بعضها نامى وبعضها بدائى. ففى تجربة أجراها أحد العلماء على الفئران وضع بين الفئران وطعامها شبكة من الممرات المعقدة مماأحبط محاولاتها للوصول إلى الطعام، واكتشف أن الفئران حين تواجه بعوائق أكثر تعقيداً، كانت تظهر علامات ماأسماه "غريزة الشك الفطرية". إنه إذا كانت لدى بعض المخلوقات غريزة الشك، إلا أن الإنسان وحده خلق له الله ما دعاه الكتاب المقدس "الفهم والتمييز" (مز ٣٢: ٩). والكتاب المقدس بين لنا ذلك من بداية خلق الإنسان ففى (تك ٢، ٣) نرى الله يتعامل مع الإنسان ويكلمه. الأمر الذى لم يفعله مع الحيوان .. ولقد توقع الله أن يتعاون الإنسان معه بوعى وذكاء بعد أن وضعه فى الجنة كى يعملها ويحفظها، بل والأكثر من ذلك أنه طلب منه أن يميز عقلياً وأدبياً بين ما سُمح له أن يعمله وبين الشئ الوحيد الذى حُرِّم عليه عمله (طلب منه أن لا يأكل من الشجرة التى فى وسط الجنة). بد ودعا الله الإنسان أن يدعو الحيوانات بأسماء، الأمر الذى نرى فيه سيادة الإنسان عليها. علاوة على ذلك خلق الله المرأة بالطريقة التى استطاع آدم أن يدرك أنها ستكون شريكة حياته، ومن ثم انطلق وبتلقائية ينشد أول قصيدة حب عرفتها البشرية.

من الأمور المسلم بها أن الإنسان خلق بعقل مفكر. وبناء على هذا وضح أن الإنسان إذ يختلف عن الحيوان، عليه أن يسلك بطريقة مختلفة، وهذا هو أساس قول الكتاب: (لا تكونوا كفرس أو بغل بلا فهم) (مز ٣٢: ٩).

ولذا يتعرض الإنسان للسخرية والتوبيخ فى حالتين:

الأولى: إذا كان تصرفه أقرب إلى الحيوانية منه إلى الإنسانية (وأنا بليد ولا أعرف - صرت كبهيم عندك) (مز ٧٣: ٧٢).

والثانية: إذا تصرف الحيوان بطريقة أكثر إنسانية من بعض الناس. لأنه فى بعض الأحيان يظهر أن الحيوان يفوق الإنسان ذكاء. وهكذا نرى النملة فى نشاطها ودقتها تبز الإنسان الكسول، والثور والحمار قد يطيعان سادتهما أكثر من شعب الله، وطيور السماء تعرف معنى التوبة إذ نراها دائما تعود بعد الهجرة، الأمر الذى قد لا نراه فى دائرة المرتدين عن الإيمان.

هناك تشابه كبير بين الإنسان والحيوان. إلا أنه فى حين أن الحيوان خُلق ليسلك بالغريزة، فإن الإنسان يسلك بمحض إرادته. أليس أمر يدعو إلى الخجل أن يفشل الإنسان فى أن يعمل بإرادته وعقله مايفعله الحيوان بالغريزة؟

ممالاشك فيه أن العقل الإنسانى تأثر بالنتائج الرهيبة للسقوط. فالفساد الذى أصاب الإنسان نتيجة السقوط كان فساداً كلياً. والواقع أنه كلما تمادى الناس فى حجز الحق الذى يعرفونه بالإثم إزدادت أفكارهم حماقة وقلوبهم ظلاما. وبينما هم يزعمون أنهم حكماء صاروا جهلاء (رو ١: ١٨ - ٢٣). والفكر الذى فيهم هوفكر الجسد، فكر الخليقة الساقطة التى أوجدت الخطية عداوة بينها وبين الله (رو ٨: ٥ - ٨).

كل هذه الأمور حقيقية .. لكن كون فكر الإنسان ساقطاً فهذا ليس معناه أن

ننتقل من العقل (الفكر) إلى العاطفة .. لأنه كما أن السقوط أثر على عقل الإنسان فقد أثر أيضا على الجانب العاطفى فيه. إلا أنه وإن كانت الخطية قد أثرت على الجانبين الحسى (العاطفى) والفكرى أيضا. بيد أن تأثيرها على الجانب الحسى كان أكثر ضراوة. لأن الجانب العقلى من السهل أن يتغير بإعلان الحق، وليس الحال كذلك بالنسبة للناحية العاطفية إلا أن الوصايا تطلب منه أن يفكر وأن يستخدم ذهنه كإنسان. فنرى الله يدعو الشعب المتمرد أن يتحاجج "هلم نتحاجج يقول الرب" (إش ١: ١٨). والرب يسوع انتقد الجمع غير المؤمن، ومن بينهم الفريسيين والصدوقيين، لأنهم كانوا يستطيعون أن يميزوا علامات السماء، ويتنبأوا بأحوال الطقس، ولكنهم عجزوا عن تمييز "علامات الأزمنة" والتنبؤ بدينونة الله (اقرأ مت ١٦: ١- ٤، لو ١٢: ٥٤ - ٥٧).

ثم سألهم قائلا: لماذا لا تحكمون بالحق من قبل نفوسكم؟! أو بلغة أخرى، لماذا لا يستخدمون عقولهم، لماذا يظهرون ذكاء وفطنة فى الأمور المادية دون أن يستخدموها فيما يتعلق بالنواحى الروحية والأخلاقية.

ثانياً: نفكر أفكار الله.

ننقل الآن من الخليقة إلى الإعلان الإلهى. إن أبسط الحقائق المجيدة أن الله إله يعلن عن ذاته، وهذه الحقيقة تحمل دلالة أهمية عقولنا، لأن كل إعلانات الله هى إعلانات تخاطب عقولنا سواء كانت من خلال الطبيعة، أو من خلال إعلانه الإلهى الخاص فى الكتاب المقدس أو فى المسيح.

لنتأمل فى إعلانه من خلال الطبيعة .. "السموات تحدث بمجد الله والفلك

يخبر بعمل يديه. يوم إلى يوم يذيع كلاماً وليل إلى ليل يبدى علماً. لا قول ولا كلام. لا يسمع صوتهم. فى كل الأرض خرج منطقهم وإلى أقصى المسكونة كلماتهم" (مز ١٩: ١ - ٤). هناك يكلم الله الإنسان بدون كلمات عن طريق الخليقة ويذيع مجده الإلهى بواسطتها. وهذه الرسالة واضحة للغاية ومن ثم فكل من يحاول إنكار حقيقتها يجلب على نفسه دينونة الله. لذا يقول الرسول بولس: "إن معرفة الله ظاهرة فيهم لأن الله أظهرها لهم. لأن أموره غير المنظورة ترى منذ خلق العالم مدركة بالمصنوعات قدرته السرمدية ولاهوته حتى أنهم بلا عذر. لأنهم لما عرفوا الله لم يمجدوه أو يشكروه كإله بل صمتوا فى أفكارهم وأظلم قلبهم الغبى" (رو ١: ١٨ - ٢١).

من خلال هذين الشاهدين نرى إعلان الله عن ذاته من خلال الخليقة، وبالرغم من أنه إعلان بدون كلمات إلا أنه كان من نتيجته أن جميع الناس ... إلى حد ما .. "عرفوا الله".

إعلانه فى الكتاب المقدس: فى الكتاب المقدس يكلم الله الإنسان عن طريق كلمات، وإذا كنا رأينا إعلان الله بالعيان فى الخليقة، وقرأناه بالكلمة فى الكتاب المقدس. لكننا فى المسيح نرى الإعلانين معاً. لأن المسيح هو (الكلمة صار جسداً) ... وحديث الله للإنسان عن طريق الكلمات يفترض وجود عقل يفهم ويعى ويترجم مايفهم. فالكلمات عبارة عن رموز لا معنى لها إذا لم يترجمها العقل الواعى.

ومن ثم فالسبب الثانى الذى دعا المسيحية إلى تقدير أهمية العقل يرجع إلى

أن المسيحية ديانة قائمة على الإعلان الإلهى. قال أحدهم: إذا كانت هناك ديانة فى العالم تعظم قيمة العقل والتعليم فلا شك أنها الديانة المسيحية. فالوثنية تهمل الناحية المتعلقة بالتعاليم، واهتمامها الرئيسى ينصب عى أداء الطقوس.

لكن ما يميز المسيحية عن سائر الأديان هو أنها تحتوى على "تعاليم" فلقد أتت للإنسان بتعليم إيجابى محدد هو الحق، وجعلت المعرفة أساس العقيدة،. وقد ثبت فى كل العصور أنه إذا تهاونت المسيحية فى هذا التعليم الإيجابى المحدد تصبح مسيحية ضعيفة ركيكة، وحادت عن طريقها السليم. إلا أن البعض انتهوا إلى عكس ذلك فقالوا: بما أن الإنسان محدود وساقط، ولا يستطيع - حسب قولهم - أن يكتشف الله بعقله ومن ثم ينبغى أن يعلن الله ذاته، فالعقل إذاً ليس مهما. ولكننا لا نوافق أحد على هذا الرأى. لأن التعليم المسيحى الخاص بإعلان الله عن ذاته أبعد مايكون عن تجاهل دور العقل. بل إن دور العقل فى ذلك أمر حتمى، وهذا التعليم يقدر الذهن كل التقدير. فلقد أعلن الله عن ذاته بالكلمات التى يخاطب بها ذهن الإنسان، وإعلانه إعلان عقلى لخلائق عاقلة. ومن واجبنا أن نقبل الرسالة ونخضع لها، ونحاول أن نفهمها ونوضحها للمجتمع الذى نعيش فيه ... وكون الله أخذ المبادرة لكى يعلن عن ذاته فهذا يدل على أن عقولنا محدودة وساقطة ... أما وأنه اختار أن يعلن نفسه للأطفال (مت ١١: ٢٥) فهذا يوضح لنا أننا ينبغى أن نتضع أمام الإعلان. وكون الله أعلن عن نفسه من خلال كلمات، فهذا معناه أن عقولنا قادرة على الفهم، ولعل أسمى وأنبل وظيفة للعقل البشرى هى أن يسمع لصوت الله وأن يقرأ أفكاره، وأن يفكر فكره. سواء عبر الكتاب المقدس أو عن طريق

إعلان الله عن ذاته فى الطبيعة.

ولعلى أستطيع أن أقول إنه عندما نفشل فى استخدام عقولنا فإننا ننزل إلى درجة الحيوانات، وقد يقول لنا الله ماسبق وقاله لأيوب حين وجده يرثى لحاله، وفى حماقة يشكو بمرارة، فقال له: "أشدد الآن حقويك كرجل. فإنى أسألك فتعلمنى" (أيوب ٣٨: ٣، ٤٠: ٧).

ثالثاً: تجديد الأذهان

ننتقل الآن من التعليم الخاص بالإعلان الإلهى إلى التعليم الخاص بالفداء ... الفداء الذى حققه الله بموت يسوع المسيح وقيامته. وبعد أن حقق الفداء بواسطة الابن، أعلن الله من خلال خدامه أن إعلان الإنجيل (عن طريق الكلمات الموجهة إلى الأذهان) كان الوسيلة الأساسية التى عينها الله كى ينال الخطاة الخلاص بواسطتها. وقد وضح الرسول بولس هذا بقوله: " لأنه إذا كان العالم فى حكمة الله لم يعرف الله بالحكمة استحسن الله أن يخلص المؤمنين بجهالة الكرازة" (١كو ١: ٢١).

نلاحظ فى هذه الآية أن التباين ليس بين ما هو عقلى وما هو غير عقلى كأن يقول مثلاً إذا كانت حكمة الإنسان (الذهن الإنسانى) لم تستطع أن تعرف حكمة الله، فالله استغنى تماما عن الرسالة التى تخاطب العقل، لكن المقارنة هنا بين حكمة الإنسان وإعلان الله .. الإعلان العقلى وما نكرز به. والكرازة بصلب المسيح (موته) و(قيامته) .. وبالرغم من ظلام الذهن البشرى وعمى عيونه الذى كتب عنه الرسول قائلاً: "لكن الإنسان الطبيعى لا يقبل ما لروح الله لأنه عنده

جهالة" (١كو ٢: ١٤). إلا أن الإنجيل مازال موجهاً إلى الذهن البشرى ... فالإنجيل هو الوسيلة التى تفتح عيون البشر وتنير عقولهم وتخلصهم. وسوف نتناول هذا الجزء بالتفصيل فيما بعد عندما نتحدث عن موضوع الكرازة.

الفداء يتضمن تجديد صورة الله فى الإنسان. تلك الصورة التى شوهها السقوط. وهذا التجديد يشمل العقل ... ولقد وصف الرسول بولس المهتدين الذين كانوا قبلاً وثنيين بقوله لهم: "ولبستم الجديد الذى يتجدد للمعرفة حسب صورة خالقه (كو ٣: ١٠). ويقول عنهم فى (أف ٤: ٢٣)" وتتجددوا بروح ذهنكم". بل استطاع أن يقول إن الإنسان الروحى الذى سكن فيه ويحركه روح الله يستطيع أن يحكم فى كل شئ. بل له أيضاً فكر المسيح (١كو ٢: ١٥ و ١٦). وكون الإنسان المسيحى له فكر جديد جعل الرسول بولس يقول بثقة: "أقول كما للحكماء. احكموا أنتم فى ما أقول" (١ كو ١٠: ١٥).

إنى لأسأل نفسى: كيف سيكون رد فعل الرسول بولس لو أنه أطلع على حال مسيحيى الغرب فى أيامنا هذه. أعتقد أنه كان سيتملكه الحزن الشديد عليهم إذ أنهم مسيحيون يفتقرون إلى ذهن مسيحى.

قال أحدهم إن الذهن المسيحى هو ذلك الذهن الذى يتناول قضايا فكرية عامة فى إطار مبنى على مفاهيم مسيحية .. المسيحى يتحدى التعصبات العصرية. إن العقل المسيحى استسلم بضعف للتيار العالمى بدرجة لم تحدث من قبل فى تاريخ المسيحية. إنه لمن الصعب أن نعبر بكلمات عن مدى هبوط الفكر المسيحى فى كنيسة القرن العشرين. بل إنى أكاد أقول إنه لم يعد هناك ذهم (فكر)

مسيحى .. قد يكون هناك أدب مسيحى - سلوك مسيحى - روحانية مسيحية. لكن كل إنسان مفكر يجد أن المسيحى المعاصر استسلم للفكر الدنيوى. وإن لقى هذا إنكار مؤسف للفداء الذى لنا بالمسيح يسوع: "الذى صار لنا حكمة من الله" (١ كو ١: ٣٠).

رابعاً الدينونة

التعليم المسيحى الرابع الذى نستدل فيه على أهمية دور العقل هو التعليم الخاص بالدينونة. والواضح فى الكتاب المقدس أن الله سيدين الإنسان طبقاً لمعرفته بإعلانه الإلهى ومدى استجابته (أو عدم استجابته) له. لنأخذ مثالاً من العهد القديم .. فى سفر إرميا .. كانت رسالة إرميا للشعب تحذرهم بأنه إن لم يسمعوا لصوت الرب فستباد الأمة والمدينة والهيكل، إلا أنهم بدلاً من أن يسمعوا سدوا آذانهم، وصلبوا رقابهم، وقسوا قلوبهم. ونذكر فيما يلى بعضاً من نماذج لأهم العبارات التى وردت فى هذا السفر:

فمن اليوم الذى خرج فيه آباؤكم من أرض مصر إلى هذا اليوم أرسلت إليكم كل عبيدى الأنبياء مبكراً كل يوم ومرسلاً. فلم يسمعوا لى ولم يميلوا أذنهم بل صلبوا رقابهم (إر ٧: ٢٥، ٢٦) " ... يوم أخرجتهم (أى آباءكم) من أرض مصر .. قائلا "اسمعوا صوتى واعملوا حسب كل ما آمركم به فتكونوا لى شعباً وأنا أكون لكم إلهاً ... لأنى أشهدت على آبائكم اشهاداً يوم أصعدتهم من أرض مصر إلى هذا اليوم مبكراً ومشهداً قائلاً اسمعوا صوتى فلم يسمعوا ولم يميلوا أذنهم بل سلكوا كل واحد فى عناد قلبه الشرير. فجلبت عليهم كل كلام

هذا العهد الذي أمرتهم أن يصنعوه ولم يصنعوه (إر ١١: ٤ ,٧, ٨).

" ... هذه الثلاث والعشرين سنة صارت كلمة الرب إلىّ فكلمتكم مبكراً ومكلماً فلم تسمعوا. وقد أرسل الرب إليكم كل عبيده الأنبياء مبكراً ومرسلاً فلم تسمعوا ولم تميلوا أذنكم للسمع (إر ٢٥: ٣, ٤). " وقد حولوا لى القفا لا الوجه وقد علمتهم مبكراً ومعلماً ولكنهم لم يسمعوا ليقبلوا أدباً (إر ٣٢: ٣٣). وحتى بعد دمار أورشليم على يد نبوخذ نصر، وبعد ما أخذ إرميا أسيراً إلى مصر، استمر فى تحذير اليهود بدينونة الله لشرور شعبه إذ يقول: " فأرسلت إليكم كل عبيدى الأنبياء مبكراً ومرسلاً قائلاً لا تفعلوا أمر هذا الرجس الذى أبغضته، فلم يسمعوا ولا أمالوا أذنهم ليرجعوا عن شرهم .." (إر ٤٤: ٤, ٥).

ومبدأ الدينونة هذا صادق عليه الرب يسوع بقوله: "من رذلنى (رفضنى) ولم يقبل كلامى فله من يدينه .. الكلام الذى تكلمت به هو يدينه فى اليوم الأخير" (يو ١٢: ٤٨).

ويوضح لنا الرسول بولس فى الأصحاحات الأولى من رسالته إلى رومية أن الإنسان مذنب أمام الله لأنه نال بعضاً من المعرفة (الإعلان الإلهى) .. فاليهود عن طريق الناموس والأمم عن طريق الطبيعة وناموس الله المكتوب فى قلوبهم .. لكن لم يحيا أى من البشر وفقاً لهذا الإعلان.

ولعله من الواضح أنه من خلال روح عدم المعرفة قد نذخر لأنفسنا دينونة الله العادل.

لقد أردت أن أوضح كيف أن ذهن الإنسان أساس لفهم تعاليم الخليقة والإعلان والفداء والدينونة. لقد خلقنا الله كائنات مفكرة. وبناء على هذا تعامل معنا من خلال الكلمات. ولقد جددنا فى المسيح وأعطانا فكر المسيح وجعلنا مسئولين عن كل ما نحصله من معرفة.

والتيار الحالى الذى يتجاهل دور العقل (والذى سرى بين بعض الجماعات المسيحية) بدأت حقيقته تتضح من حيث أنه شر مستطير. فهذا الأمر ليست له أى علاقة بالتقوى، بل هو بدعة من بدع العالم، ومن ثم فهو فكر دنيوى. إن تجاهل دور العقل معناه تجاهل التعاليم المسيحية الجوهرية.

هل يخلقنا الله كائنات مفكرة، وننكر نحن إنسانيتنا التى أعطاها الله لنا.

هل يكلمنا الله ولا نسمع لصوته؟ . هل يجدد الله روح ذهننا بواسطة المسيح ولا نفكر بهذا الذهن؟ وإذا كان الله سيديننا بحسب موقفنا من أقواله، ألا نكون حكماء ونبنى بيوتنا على الصخر (مت ٧: ٢٤ - ٢٧).

وليس غريبا الآن بعد كل هذا التعليم أن نكتشف أن الكتاب المقدس بعهديه شدد على أهمية المعرفة والحكمة ... ففى العهد القديم أبدى الله أسفه إذ رأى شعبه يتصرفون "كالبنين الجاهلين" ... غير الفاهمين (إر ٤: ٢٢).

ووضح ذلك أكثر عندما قال "سُبى شعبى لعدم المعرفة" (إش ٥: ١٣)، هلك شعبى لعدم المعرفة (هو ٤: ٦)". وفى سفر الأمثال وضح الكتاب أن "الحمقى يبغضون العلم (أم ١: ٢٢)، لكن الرجل الحكيم يسعد بأن يقتنى الحكمة والعلم

لأنه بهذا يقتنى ماهو "خير من الذهب الخاص" ، "أثمن من اللآلى" (أم ٣: ١٣ - ١٥). وعلى نفس المنوال يتكلم كثير من الرسل فى العهد الجديد موضحين أهمية اكتساب المعرفة وتطبيقها فى حياة القداسة. فيتكلم الرسول بطرس فى رسالته الثانية عن بذل الجهد فى المعرفة فيقول: "ولهذا عينه وأنتم باذلون كل اجتهاد قدموا فى إيمانكم فضيلة وفى الفضيلة معرفة ..." (٢بط ١: ٥).

وبولس الرسول يقول: "نتكلم بحكمة بين الكاملين (البالغين)" (١كو ٢: ٦). ثم استطرد يوبخ أهل كورنثوس لأنهم كانوا يتصرفون كأطفال. وقال: "إنهم صاروا محتاجين إلى اللبن إذ لا يستطيعون أن يهضموا الطعام القوى الذى هو حكمة السماء" (١كو ٣: ١ - ٢، عب ٥: ١١، ٦: ٣).

لذلك نجد أن الرسول بولس فى صلواته العظيمة من أجل الكنائس الصغيرة وأعضائها كان أهم وأول مايطلبه لهم هو النمو فى المعرفة وأن يعمل الروح القدس بينهم وفيهم كروح الحق. أما بالنسبة لأهل أفسس فقد صلى قائلا: " .. كى يعطيكم إله ربنا يسوع المسيح أبو المجد روح الحكمة والإعلان فى معرفته مستنيرة عيون أذهانكم لتعلموا ماهو رجاء دعوته وماهو غنى مجد ميراثه فى القديسين وماهى عظمة قدرته الفائقة نحونا نحن المؤمنين ..." (أف ١: ١٧ - ١٩). وفى ذات الرسالة يصلى أيضا لأجلهم: "لكى تتأيدوا بالقوة بروحه فى الإنسان الباطن ليحل المسيح بالإيمان فى قلوبكم".

لماذا .. هنا نرى الإجابة "وأنتم متأصلون متأسسون فى المحبة حتى تستطيعوا أن تدركوا مع جميع القديسين ماهو العرض والطول والعمق والعلو،

وتعرفوا محبة المسيح الفائقة المعرفة لكى تمتلئوا إلى كل ملء الله". (أف ٣: ١٤ - ١٩).

ولأهل فيلبى يصلى الرسول ويقول: "وهذا أصليه أن تزداد محبتكم أكثر فأكثر فى المعرفة وفى كل فهم حتى تميزوا الأمور المتخالفة لكى تكونوا مخلصين وبلا عثرة إلى يوم المسيح مملوئين من ثمر البر" (فى ١: ٩ - ١١).

ولأهل كولوسى صلى الرسول قائلاً: " من أجل ذلك نحن أيضا منذ يوم سمعنا لم نزل مصلين وطالبين لأجلكم أن تمتلئوا من معرفة مشيئته فى كل حكمة وفهم روحى لتسلكوا كما يحق للرب فى كل رضى مثمرين فى كل عمل صالح ونامين فى معرفة الله" (كو ١: ٩، ١٠).

ومن الواضح هنا فى صلوات بولس تكرار هذه الكلمات:معرفة ... فهم .. حكمة ... ومما لاشك فيه أن الرسول يعتبر المعرفة والفهم والحكمة أساس الحياة المسيحية.

الفصل الثالث

دور العقل فى الحياة المسيحية

نستطيع الآن أن نتأمل فى الأمور التى يتوقع منا الله أن نستخدم فيها عقولنا. وأود أن أشير إلى أننى لست بصدد الدفاع عن تحصيل المعرفة، أو الثقافة الدنيوية، وإنما أقصد تحديد ست مجالات من الحياة المسيحية لايمكن لكل منها أن تقوم لها قائمة دون استخدام الذهن على أفضل وجه.

ولسوف ندرس معاً وبالترتيب الموضوعات التالية: العبادة المسيحية، الإيمان المسيحى، القداسة المسيحية، الإرشاد المسيحى، الكرازة المسيحية والخدمة المسيحية.

١- العبادة الحقيقية

أعجبتنى قصة كان يرددها أحد المبشرين (ممن يؤمنون بأهمية دور الذهن فى خدمة الوعظ) حيث قال: كتب لى أحدهم منتقدا عندما أذهب إلى الكنيسة

أتمنى لو أستطيع أن أفصل رأسى عن جسدى وأضعها تحت الكرسى الذى أجلس عليه لأننى فى الاجتماعات الروحية لا أشعر أنى بحاجة إلى أى جزء من جسمى أعلى من ياقة قميصى.

لعل هذه العبادة الغير عقلانية كانت عبادة الأوثان فى أثينا حيث وجد بولس مذبحاً لإلهٍ مجهولٍ. والعبادة التى ليس للعقل فيها لاتليق بالمسيحية. ولم يترك الرسول بولس هؤلاء الأثينيين فى جهالتهم بل وضح لهم حقيقة الإله الذى يعبدونه بجهالة، لأنه كان يعلم أن العبادة الوحيدة المقبولة لدى الله هى العبادة العقلية - عبادة الذهن والحق - عبادة من يعرفون الإله الذى يعبدونه ويحبونه من كل فكرهم (يو ٤: ٢٤، لو ١٠: ٢٧) كان كتاب المزامير هو كتاب الترانيم فى العهد القديم ومازال حتى الآن يستخدم فى العبادة المسيحية.

ولعلنا من خلال هذا الكتاب نستطيع أن نعرف ماهى العبادة الحقيقية .. إن التعريف الأساسى للعبادة فى سفر المزامير هى (لنسبح اسم الرب. مز ١٤٨: ٥) أو ليسبحوا اسم الرب لأنه قد تعالى اسمه وحده (مز ١٤٨: ١٣). وعندما نريد أن نعرف مالمقصود بـ "اسمه" لوجدنا أن هذا الاسم هو محصلة من هو الله وماذا فعل. وفى المزامير يُعبد الله بصفته خالق وفادى اسرائيل، وكان كاتبوا المزامير يسهبون فى ذكر مافعله الله فى الخليقة والفداء .. فمزمور (١٠٤) على سبيل المثال يتكلم عن حكمة الله فى أعماله العظيمة المتنوعة فى السماء والأرض، فى الحيوانات والنباتات، فى الطيور والأسماك، والدبابات التى بلا عدد التى يعج بها البحر الكبير الواسع الأطراف. ومزمور (١٠٥) من ناحية أخرى يعدد

لنا طائفة أخرى من عجائبه التى صنع مع شعبه فى القديم فيذكر تاريخه معهم عبر الدهور وعهوده لإبراهيم واسحق ويعقوب. وعنايته بيوسف فى أرض مصر إذ أخرجه من السجن ورفعه إلى مرتبة الأمراء، وأعماله القوية التى أجراها على يدى كل من موسى وهارون. ضرب المصريين بالوبأ، وأنقذ شعبه، ويذكر رعايته لهم فى البرية، وقوته التى جعلتهم يرثون أرض الموعد.

ومزمور (١٠٦) يتحدث فى ذات الإتجاه، لكنه يتعجب من صبر الله على شعبه الذى نسى أعماله ولم يصدق مواعيده، وعصى وصاياه. وفى مزمور (١٠٧) تمجيد للرب على محبته الثابتة التى كانت واضحة فى إنقاذ مجموعات مختلفة من الشعب من المحن التى واجهت كلا منهم، فلقد أنقذ من ضلوا طريقهم فى الصحراء. وفك قيود المحبوسين، والمرضى الذين كانوا على شفا حفرة من الموت، والمسافرين من الغرق فى البحر. هؤلاء جميعا صرخوا والرب سمع ومن كل شدائدهم أنقذهم (مز ٣٤: ١٧). ولذلك فليحمدوا الرب على رحمته وعجائبه لبنى آدم (مز ١٠٧: ٨)

والمثل الأخير نجده فى مزمور (١٣٦) حيث تتكرر اللازمة "لأن إلى الأبد رحمته" فى نهاية كل آية من هذا المزمور.

ونرى كاتب المزمور يعبر عن شكره لله أولا لأنه خلق السماء والأرض والشمس والقمر والنجوم. ثم يشكره ويحمده على خلاصه بنى اسرائيل من العبودية فى مصر، وإعطائهم النصرة على ملوك الأموريين كى يعطيهم الأرض ميراثا. كل هذه الأمثلة ترينا أن إسرائيل لم يعبدوا الله كإله غريب وبعيد عنهم

بل عبدوه كرب الطبيعة، ورب الشعب. الإله الذى أظهر نفسه بأعمال عظيمة ملموسة، تراها فى خلقه العالم وحفظه له، وبحفظه وفدائه لشعبه. لقد كانت ثمة مبررات قوية ليحمدوه ويشكروه لصلاحه، وأعماله العظيمة معهم ومن أجل "كل حسناته" ولهذين العملين المجيدين (الخليقة والفداء) أضاف المسيحيون الشكر لله لأمجد عمل عمله فى ميلاد وحياة وموت وتمجيد ربنا يسوع المسيح، وفى عطية الروح القدس للخليقة الجديدة (التى هى الكنيسة) .. وهذه هى قصة العهد الجديد .. ولهذا السبب فالقراءة من العهدين القديم والجديد) وتفسير الكتاب المقدس هما جزء لا يتجزأ من العبادة الجماعية فى الكنيسة. فعندما نسمع عن عمل الله لأجلنا، نستطيع أن نشكر فى عبادتنا، ولهذا السبب أيضا فإن قراءة الكتاب المقدس والتأمل فيها هو جزء جوهرى من عبادتنا الشخصية الخاصة. وهكذا فالعبادة المسيحية عامة كانت أو خاصة. ينبغى أن تكون استجابة لإعلان الله لنا من خلال كلماته وأعماله المدونة فى الكتاب المقدس.

لعلنا هنا نتعرض لموضوع التكلم بألسنة. وبغض النظر عما كانت عليه مواهب الروح القدس، سواء كانت التكلم بألسنة أو النطق بعبارات الانتشاء فى أيام العهد الجديد. فما لاشك فيه أن التكلم بألسنة يعد عملاً غير مفهوم بالنسبة للمتكلم، ولعله لهذا السبب منعه الرسول بولس فى الاجتماعات العامة إذا لم يكن هناك مترجم، ولم يشجع ممارسته فى العبادة الخاصة إذا كان المتكلم لايفهم ما هو قائل فكتب يقول: "لذلك من يتكلم بلسان فليصل لكى يترجم. لأنه إن كنت أصلى بلسان فروحى تصلى وأما ذهنى فهو بلا ثمر. فما هو إذاً. أصلى بالروح وأصلى بالذهن أيضاً. أرتل بالروح وأرتل بالذهن أيضاً (١ كو

١٤: ١٣ - ١٥). أو بمعنى آخر لا يستطيع بولس أن يتقبل فكرة صلاة أو عبادة يكون فيها الذهن خاملاً، أو لا يكون له دور على الإطلاق. وهو يشدد على أنه فى العبادة الحقيقية ينبغى أن يكون الذهن يقظاً وواعياً وفاهماً. ولذلك فعبادة أهل كورنثوس التى كانت تتضمن أموراً غير مفهومة كانت تُعد أمرا صبيانيا. كان ينبغى أن يكونوا أولاداً فى الشر قدر استطاعتهم، لكنه أضاف أما فى الأذهان فكونوا كاملين (١ كو ١٤: ٢٠).

إن العبادة المسيحية لن تكون كاملة إلا عندما ندخل السماء فنعرف الله كما هو وعندئذ نقدم له الشكر اللائق به.

٢- الإيمان: الاعتقاد غير المنطقى فى المستحيلات !؟

لعل البعض يتعجب إذا قلت إنه ليس هناك موضوع فى المسيحية أسئ فهمه كموضوع الإيمان .. دعونا نبدأ بأمرين سلبيين:-

أولاً: الإيمان ليس هو التصديق الساذج .. قال أحدهم إن الإيمان هو الإعتقاد غير المنطقى فى حدوث المستحيلات .. لكنى أظنه مخطئاً: فالإيمان ليس هو التصديق الساذج. أن تصدق بسذاجة هذا معناه أنك سهل الانخداع، عديم الفطنة، ضعيف التمييز، خامل الفكر. وإنه لمن الخطأ الاعتقاد أن الإيمان يتعارض مع المنطق .. لقد وضع الكتاب المقدس الإيمان والعيان على طرفى نقيض (٢ كو ٥: ٧) ولكنه لم يفعل ذلك بالنسبة للإيمان ... والمنطق. فالإيمان الحقيقى لابد وأن يتفق مع المنطق لأنه يثق فى صفات ومواعيد الله، والمؤمن المسيحى هو ذلك الشخص الذى يعكس عقله هذه اليقينيات ويثق بها.

ثانيا: الإيمان ليس التفاؤل: لعل هذا ما كتبه د. بيل .. وكان سبب ارتباك الكثيرين رغم أن معظم ماكتبه كان صحيحا. كان مقتنعاً للغاية بقوة العقل البشرى. ونقل عن وليم جيمس قوله: إن أعظم اكتشاف عاصرته هو أن الإنسان يستطيع أن يغير حياته بتغيير اتجاهاته الفكرية. وكذلك كتب أحدهم قائلاً: يقيم الرجل بحسب فكره طوال اليوم.

ومن خلال هذه الأفكار كتب د. بيل كتاباً بعنوان "قوة التفكير الإيجابى" الذى جعله مساوياً للإيمان (وكان مخطئاً فى ذلك). وما هو بالضبط الإيمان الذى يتحمس له؟ إن أول فصول كتابه "قوة التفكير الإيجابى" تعمد أن يجعل عنوانه "آمن بنفسك {ثق فى ذاتك}، وفى الفصل السابع الذى عنوانه "توقع الأحسن وأحصل عليه" يقدم اقتراحاً ويؤكد أنه مضمون فيقول: اجمع ١٢ عبارة من أقوى العبارات الكتابية التى تتكلم عن الإيمان - احفظها - دعها تسكن فى عقلك. كررها مراراً وتكراراً. ستجدها بالتدريج تسكن فى عقلك الباطن وتحولك إلى إنسان مؤمن .. وإلى هنا يبدو الأمر رائعاً. ولكن علينا ألا نتسرع الكتاب عن "ترس الإيمان". فهو يتكلم عن أسلوب قوة روحية .. أى الإيمان ... التفكير الايجابى .. الثقة فى الرب، الثقة فى الآخرين، الثقة فى النفس، الثقة فى الحياة. وهذا هو أساس الأسلوب المقصود بهذه العبارة. ثم يستمر الدكتور بيل Peale فيذكر بعض الآيات الرائعة.

إن كنت تستطيع أن تؤمن .. كل شئ مستطاع للمؤمن (مر ٩: ٢٣) -، (مت ١٧: ٢٠). إن كان لكم إيمان ... لا يكون شئ غير ممكن لديكم (مت ١٧: ٢٠). بحسب إيمانكما يكون لكما (مت ٩: ٢٩).

إلا أنه أفسد كل شئ بتفسيره هذه الآية الأخيرة بقوله: "طبقاً لإيمانك بنفسك، وإيمانك بعملك، إيمانك بالله ستحقق هذا فعلا" ، ولكنك لن تحصل على أى شئ آخر.

لم يفرق هذا الكتاب بين الثقة بالذات والإيمان بالله .. ولم يكن مهتما على الإطلاق بموضوع الإيمان ... وقد قال فى وصفة لعلاج القلق: على كل منا قبل أن يغادر فراشه فى الصباح أن يقول بصوت عال (أنا أؤمن)، ويردد ذلك ثلاث مرات. لكنه لم يوضح لنا على أى شئ يبنى هذا الإيمان. إن كل ماقاله فى نهاية كتابه "آمن وستحيا فى نجاح". لكن بمن نؤمن؟ وبماذا نؤمن؟ فالإيمان عنده هو الثقة فى الذات، لكنه تفاؤل لا أساس له .. ولربما غير هذا الكتاب وجهة نظره فيما بعد لكن كتابه حتى يومنا هذا لايزال متداولا. لقد كان التفكير الايجابى الذى يقصده هو التفكير القائم على الرغبة لا على الواقع.

الإيمان هو الثقة التى لها مبرراتها، ثقة تامة لا حدود لها فى صدق مواعيد الرب. ونجد مثالاً لذلك فى الكتاب المقدس (١ صم ٣٠: ١ - ٦)، حيث نقرأ أنه حين عاد داود ورجاله إلى صقلغ قبل أن يقتل الفلسطينيون شاول، كان العمالقة قد غزوا المدينة وأحرقوها، وسبوا النساء والأطفال .. بكى داود ورجاله حتى لم تبق لهم قوة للبكاء. وكانت نفس داود مرة جداً لأن الشعب كان سيرجمه ... كانت محنة رهيبة، وكان من المحتمل أن تُغرق داود فى لجة اليأس، إلا أن الكتاب يقول: "فلم يحصر فكره فى الواقع الأليم، ولم يبن آمالاً على مجرد استرداد ثقته بنفسه، ولم يقل لنفسه أنه يشعر بأنه على أحسن حال، وكل

مافعله هو أنه حصر تفكيره فى الرب إلهه. إله الخليقة، إله العهد، الإله الذى وعد أنه سيكون إلهه الذى يقيمه على عرش إسرائيل. وعندما تذكر داود وعود الرب وأمانته تشدد فى الإيمان .. "وتشدد بالرب إلهه"، وهنا نرى أن الإيمان والفكر يسيران معاً، والإيمان مستحيل بدون الفكر.

لنأخذ مثلا آخر من العهد الجديد .. فى (مت ٦: ٣٥) مكتوب "فإن كان عشب الحقل الذى يوجد اليوم ويطرح غداً فى التنور يلبسه الله هكذا أفليس بالحرى جداً يلبسكم أنتم ياقليلى الإيمان". واضح من هذه الآية أن الإيمان طبقا لتعليم الرب يسوع هو أساساً "تفكير" وأن مشكلة الإنسان القليل الإيمان أنه لا يفكر ويستسلم للظروف علينا أن نقضى وقتا أكثر فى تفهم الدروس التى قدمها لنا الرب يسوع والقائمة على التأمل فى أعمال الله فى الطبيعة واستخلاص العبر منها لتقوية إيماننا. والكتاب عامر بالمنطق.

لذلك لا يجب أن ننظر إلى الإيمان كأنه مجرد أمر غامض، ولا ينبغى أن نسرح مع الخيال ونتوقع أن هناك معجزات ستحدث لنا. إن هذا ليس هو الإيمان المسيحى. فالإيمان المسيحى يعتمد بالضرورة على التفكير .. يقول الرب: "انظروا إلى طيور السماء. فكروا فيها واستخلصوا منها دروساً .. انظروا إلى عشب الحقل .. تأملوا زنابق الحقل: "(مت ٦: ٢٦ ٣١).

إن الإيمان يمكن أن يعرّف على أنه التصميم على التفكير بالرغم من أن كل الظروف قد تعمل على أن تهزمنا فكرياً. إن المشكلة بالنسبة للإنسان القليل الإيمان هى إنه بدلاً من أن يضبط أفكاره .. يسمح لأمور أخرى أن تسيطر عليها

(كمسئوليات الحياة) فيجد نفسه يدور فى حلقة مفرغة .. لعل هذا هو أساس القلق. وهذا ليس تفكيرا بل هو غياب التفكير أو التقاعس عنه. قبل أن أترك موضوع دور الذهن فى الإيمان المسيحى أريد أن أتكلم عن الفريضتين الكتابيتين وهما المعمودية وعشاء الرب. وكلاهما عبارة عن رموز ذات معنى من خلالها يتبارك المسيحى عن طريق إحياء الإيمان فى الحقائق التى يرمزان إليها. فلنأخذ مثلاً عشاء الرب، فهو بكل بساطة تعبير عن موت المسيح لأجل الخطاة. إنها ذكرى نتذكرها بعقولنا. وعلينا أن نتأمل فى هذه الفريضة لنستطيع أن نلم بالمعانى التى تعطيها لنا لتعضيد إيماننا. المسيح يتكلم إلينا من خلا الخبز والخمر "لقد ذقت الموت لأجلك". وعندما نسمع كلمته ينبغى أن تطمئن قلوبنا وتلفظ مانشعر به من ذنب.

إن اليقين المسيحى هو يقين الإيمان (عب ١٠: ٢٢) وإن كان اليقين وليد الإيمان، فالإيمان وليد المعرفة .. المعرفة الواثقة بالمسيح والإنجيل.

إن معظم قلقنا وخوفنا يأتى من عدم إدراك طبيعة إنجيل المسيح، وأن أساس السعادة الروحية هو الرؤية النقية الواضحة لإنجيل المسيح.

ثالثا: طلب القداسة

لقد وضح لنا الكتاب المقدس الكثير من أسرار القداسة، ولقد كان من بين الأهداف العظيمة لكلمة الله أنها توضح لأولاد الله كيف يحيون حياة مرضية أمامه .. لكن أحد العناصر المهملة فى موضوع القداسة هو دور الذهن. على الرغم من أن الرب يسوع قد وضح الأمر عندما قال: "وتعرفون الحق والحق

يحرركم" (يو ٨: ٣٢).

إن المسيح هو الحق الذى يحررنا من عبودية الخطية وقيودها .. لكن كيف يكون هذا ؟

أين تقع القوة المحررة للكلمة؟

١- ينبغى أن تكون لنا دراية كاملة بصورة الشخص الذى يريدنا الله أن نكونه. ينبغى أن نعرف وصايا الله. قال أحدهم إن الأمور الحسنة التى لا يستطيع العقل أن يكتشفها لا تستطيع الإرادة أن تهفو إليها، ولا تستطيع العاطفة أن تحيا فيها .. لذلك نجد من خلال كلمة الله أن خداع العقل هو أساس كل خطية.

لعل من أروع الأمثلة على هذا نجدها فى حياة ربنا يسوع إبان فترة تجسده، لقد أتاه الشيطان فى البرية ثلاث مرات بتجارب، وفى المرات الثلاث اكتشف أن مقترحات الشيطان هى شر وضد إرادة الله، وثلاث مرات واجه هذا الشر بكلمة "مكتوب". فالأمر لم يكن يتسع لتفكير أو جدل، لقد كان الأمر مقطوعاً به فى ذهن الرب منذ البداية. فقد وضح لنا الكتاب كل ما هو حق. إن وضوح إرادة الله من خلال المعرفة الكتابية هو السر الأول فى حياة القداسة.

ليس كافياً أن تكون لنا دراية بما ينبغى أن نكون عليه، وإنما ينبغى أن نصر على ذلك. فالمعركة غالبا ماتحسم فى داخل الذهن .. بتجديد أذهاننا يتغير سلوكنا وشكلنا (رو ١٢: ٢) لذلك كانت دعوة الكتاب لنا مراراً وتكراراً أن نفتكر فى "كل ما هو حق .. كل ما هو جليل .. كل ما هو عادل .. كل ما هو

طاهر .. كل ما هو مسر، كل ماصيته حسن إن كانت فضيلة وإن كان مدح" (فى ٤ : ٨).

ويقول أيضاً فى (كو ٣: ١ - ٣) "فإن كنتم قد قمتم مع المسيح فاطلبوا مافوق حيث المسيح جالس عن يمين الله، اهتموا بما فوق لا بما على الأرض لأنكم متم وحياتكم مستترة مع المسيح فى الله".

وفى (رو ٨: ٥ - ٦) "فإن الذين هم حسب الجسد فبما للجسد يهتمون (يفكرون) ولكن الذين حسب الروح فبما للروح لأن اهتمام (التفكير فى) الجسد هو موت ولكن اهتمام الروح هو حياة وسلام. وضبط النفس هو أساساً ضبط العقل .. ما نزرعه بعقولنا نحصده بأفعالنا. إن العقل يحتاج إلى غذاء كالجسد تماما، ونوعية الغذاء الذى نغذى به العقل تحدد نوعية الشخص الذى نكونه، وعلينا أن نغذى أفكارنا بطعام صحى لا بسموم فكرية خطيرة.

٢- هناك أمر آخر يدعونا العهد الجديد ألا نجعله يغيب عن فكرنا وهو أنه ينبغى أن نتأمل ليس فقط فيما يجب أن نكون عليه، لكن بالصورة التى كانت لنا قبلاً بنعمة الرب علينا باستمرار أن نتذكر مافعله الله لنا، ويجب أن نقول لأنفسنا دائماً: إن الله جعلنا واحداً مع المسيح بموته وقيامته، لقد محا حياتى العتيقة وأعطانى حياة جديدة فى المسيح، أعطانى نعمة التبنى وجعلنى ابنا له، لقد سكب علىّ من روحه القدوس الذى سكن فى داخلى، وهكذا جعل من جسدى هيكلاً له وجعلنى وارثاً، ووعدنى بالحياة الأبدية معه فى السماء. هذا هو ما عمله المسيح فىّ ومن أجلى. وهذا هو ما أنا فى المسيح. ولم يدخر الرسول بولس

جهدا فى دعوته لنا أن نتذكر كل هذه الأشياء فيقول: أريد أن تعرفوا ولا تجهلوا. وأكثر من عشر مرات فى رسائل رومية وكورنثوس يُردد قوله "أم تجهلون"؟ أم تجهلون أننا كل من اعتمد ليسوع المسيح اعتمدنا لموته (رو ٦: ٣)... "ألستم تعلمون أن الذى تقدمون ذواتكم له عبيداً للطاعة أنتم عبيد للذى تطيعونه (رو ٦: ١٦) .. أما تعلمون أنكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم (١ كو ٣: ١٦). أم لستم تعلمون أن الظالمين لا يرثون ملكوت الله (١ كو ٦: ٩) .. ألستم تعلمون أن أجسادكم هى أعضاء المسيح (١ كو ٦: ١٥). وهكذا فى (١ كو ٥: ٦، ٦: ٢ - ٣، ١٦، ١٩).

ولم يقصد الرسول بولس بأسئلته العديدة هذه أن يجعلنا نخجل من جهلنا بل إنه قصد بالحرى أن يحثنا على أن نتذكر هذه الحقائق العظيمة المتعلقة بنا، والتى نعرفها فى الواقع تمام المعرفة، يريدنا أن نحدث أنفسنا عنها حتى تلتصق حقيقتها بعقولنا وتغير من حياتنا. أوضح أن هذا لا يعنى فكرة التفاؤلية المبنية على الثقة بالذات (كما هو فكر د. بيل، فى كتاب قوة التفكير الإيجابى) إن فكر د. بيل هو أن نظهر بخلاف واقعنا، لكن فكر بولس هو أنه يذكرنا بما هو نحن عليه حقيقة لأن الله صنعنا. هكذا فى المسيح.

رابعا: الإرشاد المسيحى

الله يقدر على أن يرشد شعبه. وهو يريد ذلك بكل تأكيد. وهذه حقيقة جلية فى الكتاب المقدس، وواضحة فى مواعيده الإلهية. مثال ذلك القول المبارك: "فى كل طرقك أعرفه وهو يُقَوِّم سبلك (أم ٣: ٦). وهذا ما هو واضح كذلك فى

وصاياه (على سبيل المثال: "لا تكونوا أغبياء بل فاهمين ماهى مشيئة الرب" (أف ٥: ١٧) وفى الصلوات التى ذكرها الكتاب لكى تثبتوا كاملين وممتلئين فى كل مشيئة الله" (لو ٤: ١٢).

لكن السؤال هنا .. كيف تكتشف إرادة الله؟ قد يقول البعض فى تسرع: "إن الرب أوصانى أن أفعل هذا أو الرب دعانى لأعمل ذلك". كما لو كان بينهم وبين السماء خط تليفونى ساخن. وهذا أمر أجد أنه يصعب على تصديقه. وثمة آخرون يعتقدون أنهم يستطيعون أن يحصلوا على إرشاد إلهى على نحو مفصل ، وذلك من خلال تفسيرات خيالية لكلمة الله لا تتفق مع القرينة الكتابية وتتنافى مع العقل والمنطق وتناقض كل تفسير سليم.

إن كنا نريد أن ندرك إرادة الله من نحونا ، علينا أن نفرق بين أمرين:

١- إرادة الله العامة. ٢- إرادته الخاصة

فى إرادة الله العامة نرى قصده لشعبه ككل وفى كل وقت. فى إرادته الخاصة نرى إرادته لشخص معين فى وقت معين. إن إرادة الله العامة من نحونا تتمثل فى أن الله يريدنا أن نكون مشابهين صورة ابنه، لكن إرادته الخاصة قد تتعلق بأمور مثل نوعية العمل الذى نختاره، وشريك الحياة فى استخدام المال والوقت وأيام الأجازات. وعندما نستطيع أن ندرك الفرق بين الإرادتين نصبح فى وضع نستطيع معه أن نكرر ونجيب على سؤالنا المتعلق بكيفية إدراكنا لإرادة الله.

فإرادة الله العامة معلنة فى الكتاب المقدس. وليس صحيحا مايقال إنه من

المتيسر دائماً أن ندرك إرادة الله من خلال المواقف الأخلاقية العصرية المعقدة.

نحن فى حاجة إلى مبادئ صحيحة للتفسيرات الكتابية. وعلينا أن نهتم بالدراسة والمناقشة والصلاة. وعلى الرغم من ذلك يجب ألاَّ تغيب عن بالنا حقيقة أن إرادة الله العامة من ناحية شعبه لا نجدها إلا فى كلمة الله.

أما عن إرادة الله الخاصة فلا أعتقد أننا نستطيع أن نجدها مدونة فى الكتاب المقدس لأنها تختلف من شخص لآخر. ولو أنه من المؤكد أننا سنجد فى الكتاب المقدس مبادئ عامة تساعدنا فى أمورنا الخاصة، وإن كنت لا أنكر أن هناك بعضا من رجال الله على مر العصور كانوا يتلقون توجيهاً وإرشاداً من الله وعلى نحو مفصل عبر كلمة الله. إلا أننى أكرر القول إن هذه ليست الطريقة المعتادة التى يستخدمها الله مع الجميع.

لنأخذ مثالا: موضوع الزواج (سواء كنت شاباً أو فتاة).

الكتاب يضع أمامنا مبادئ عامة. الزواج نظام مكرم يتفق مع غرض الله فى البشرية،والحياة بدون زواج استثناء وليست قاعدة. وأحد أهداف الزواج الرئيسية هو الشركة، وبناء عليه ينبغى أن يتمتع الطرف الآخر بما يجعل بينك وبينه شركة أو بلغة أخرى أنك كشخص مسيحى ليس لك إلا أن تتزوج من فتاة مسيحية. وأن الزواج هو التزام كامل ودائم بين رجل واحد وإمرأة واحدة. وهو السياق الذى رتبه الله كى ينعم به الإنسان بالوحدة والمحبة الجنسية. هذه الحقيقة وغيرها من الحقائق الجوهرية فيما يتعلق بإرادة الله العامة من ناحية الزواج نجدها فى الكتاب المقدس. لكن الكتاب المقدس لن يحدد لك اسم الفتاة التى ستتزوجها.

كيف إذاً تتخذ قراراً فى هذا الموضوع الحيوى؟ هناك إجابة واحدة محتملة .. ألا وهى استخدام العقل والمنطق اللذين جعلهما لك الله. وبالتأكيد ستصلى لكى يرشدك الله، وإن كنت حكيما فستسأل نصحاً من والديك أو من بعض المرشدين الذين يعرفونك، ولكنك فى النهاية ستتخذ أنت قرارك واثقا أن الله سيساعدك فى تفكيرك الخاص.

هناك شاهد كتابى قد يكون من المفيد أن نتأمل فيه وهو خاص باستخدام العقل، نجد فى (مز ٣٢: ٨ و ٩) آيتين يجب أن يدمجا معا فى القراءة لأنهما يدلان على ترابط وتوازن الكتاب المقدس. فى (ع ٨) يتكلم عن وعد بالإرشاد الإلهى "أعلمك وأرشدك الطريق التى تسلكها. أنصحك عينى عليك". إنها فى الواقع ثلاثة مواعيد. أعلمك - أرشدك - أنصحك .. لكن فى (ع ٩) يضيف على التو هذه الكلمات" لا تكونوا كفرس أو بغل بلا فهم. بلجام وزمام زينته يُكَمّ لئلا يدنو إليك. أو بلغة أخرى فعلى الرغم من أن الله قد وعدنا بأن يرشدنا، فلا نتوقع أن يعمل ذلك بالطريقة التى نرشد نحن بها فرساً أو بغلاً. إن الله لن يستخدم اللجام أو الزمام. لأننا لسنا بغالاً أو خيولاً بل كائنات بشرية لنا فهم ولنا ذهن .. الأمر الذى لا يتوفر للخيول والبغال. وهكذا عن طريق استخدام عقولنا، مستنيرين بالإنجيل علاوة على الصلاة، واستشارة الأصدقاء يقودنا الله إلى عمل إرادته من نحونا. هذا هو الأسلوب الذى لابد وأن نسير على نهجه فى حياتنا.

هناك كثير من الشباب المسيحى ارتكبوا حماقات كثيرة لأنهم تصرفوا بطيش

واندفاع دون تعقل أو روية، ولم يستخدموا العقل الذى وهبه لهم الله. ولذلك فثمة كثيرون يرددون ماقاله أحدهم: إن الفشل الذى رأيته فى حياتى، والأخطاء التى ارتكبتها والحماقات التى عشت فيها فى حياتى الخاصة والعامة كانت نتيجة تصرفات أتيتها بلا تفكير.

خامساً: نشر الإنجيل (الكرازة)

يتكلم الرسول بولس فى رومية (١٠) عن أهمية الكرازة بالإنجيل لربح الآخرين فيقول: كل من يدعو باسم الرب يخلص (رو ١٠: ١٣). وهذا أمر واضح ولكنه يتساءل: فكيف يدعون بمن لم يؤمنوا به؟ وكيف يؤمنون بمن لم يسمعوا به؟ وكيف يسمعون بلا كارز؟ ويختتم حجته قائلا: إذاً الإيمان بالخبر والخبر بكلمة الله (رو ١٠: ١٤، ١٥، ١٧).

من هذا يتبين لنا أنه لابد من وجود قناعة راسخة قوية فى كرازتنا بإنجيل ربنا يسوع المسيح.

إن مسؤليتنا أن نقدم الرب يسوع فى ملء لاهوته وإنسانيته وعمله المخلص، حتى أنه من خلال الكرازة بالمسيح يولد الله إيمانا فى السامعين. هذه البشارة الإنجيلية بعيدة كل البعد عن الصورة الكاريكاتورية الغريبة التى نراها شائعة فى أيامنا هذه، وأعنى بها اللجوء إلى العاطفة لا العقل ونترك المجال للعاطفة لكى تقرر القرار النهائى، وهكذا نترك للسامع صورة غير واضحة عن ما هو القرار الذى نتخذه ولماذا؟

تعالوا بنا نتأمل فى دور العقل فى الكرازة. ودعونا نقدم سببين مأخوذين من

العهد الجديد يتعلقان بضرورة أن تكون الكرازة بالإنجيل على أساس من الفكر ومخاطبة العقل.

السبب الأول مأخوذ من النهج الذى سار عليه الرسل. فلقد لخص الرسول بولس كرازته الخاصة فى العبارة البسيطة الآتية:"تقنع الناس" (٢ كو ٥: ١١). والإقناع عملية فكرية تساق فيها الحجج كى تقنع الناس أن يغيروا فكرهم تجاه أمر ما، وماعمله بولس فى هذا المجال شرحه لوقا فى سفر الأعمال .. فمثلاً يخبرنا لوقا بأن الرسول بولس كان فى مجمع اليهود فى تسالونيكى يحاجهم ثلاثة سبوت من الكتب موضحاً ومبيناً أنه كان ينبغى أن المسيح يتألم ويقوم من الأموات، " وأن هذا هو المسيح يسوع الذى أنا أنادى لكم به".

ونتيجة لذلك الحوار الفكرى أضاف لوقا قائلاً: "فاقتنع قوم منهم" (أع ١٧: ٢ - ٤). وكل الأفعال التى استخدمها لوقا فى حديثه عن كرازة بولس بالإنجيل وهى: يُحاج، يوضح، يبين، يقنع، .. هى كلمات تتعلق (بالذهن). وهى تشير إلى أن بولس كان يعلم عقيدة ويقدم الحجج الدامغة للإقناع بها. فكان الرسول يريد أن يقنع لكى يغير ولذلك فقولنا بعد الخدمة "نشكر الرب لأن البعض قد تغير" هذه العبارة توضح بعدنا عن فكر العهد الجديد، وقد يكون من الأفضل أن نقول "نشكر الرب أن البعض قد "اقتنع". على الأقل هذه الكلمة استخدمها لوقا بعد كرازة بولس فى تسالونيكى.

ولعل طبيعة كرازة بولس التى تركز على الإقناع تفسر لنا السبب فى بقائه فترات طويلة فى بعض المدن وخاصة "أفسس". ليخدم فيها لمدة سنتين .. كانت

الثلاثة شهور الأولى فى المجمع حيث كان يجاهر محاجا ومقنعا فيما يختص بملكوت الله (اع ١٩: ٨). ثم ترك المجمع وذهب يحاج كل يوم فى مدرسة إنسان اسمه تيرانس (أع ١٩: ٩) .. ولعلها كانت قاعة محاضرات علمانية استأجرها بولس لأجل الخدمة، ووفقاً لما جاء فى بعض المخطوطات فقد كانت محاضرات بولس تبدأ من الساعة الخامسة حتى الساعة العاشرة، أى من الساعة الحادية عشر صباحا حتى الرابعة مساء (أى خمس ساعات يوميا) واستمر يحاضر لمدة سنتين (أع ١٩: ٨ - ١٠). إذا افترضنا أنه كان يعمل ستة أيام أسبوعياً بمعدل خمس ساعات يومياً وذلك مدة سنتين، فنستطيع أن نقول إن بولس قضى ٣١٢٠ ساعة يحاج ويحاضر عن الإنجيل .. ولعله ليس من الغريب أنه نتيجة ذلك كما يقول لوقا: "إنه قد سمع كلمة الرب يسوع جميع الساكنين فى آسيا" (أع ١٩: ١٠). لقد كانت أفسس من أكبر مدن آسيا، وكان أناس كثيرون يفدون إليها بغرض الشراء أو زيارة طبيب، أو استشارة محامى. أو لقاء سياسى أو زيارة قريب. ولعله كان أهم مايحرص عليه زوار المدينة فى ذلك الوقت هو أن يذهبوا ليسمعوا ذلك المحاضر المسيحى المدعو بولس. ولقد استمع الكثيرون بالفعل إلى محاضرات بولس، واقتنعوا بصدق رسالته، وعادوا إلى قراهم "مولودين ثانية". وهكذا كانت كلمة الرب تنمو وتزداد.

والسبب الثانى الذى نستخلصه من العهد الجديد والذى يحتم أن تكون كرازتنا كرازة تعتمد على الإقناع هو أنه فى الإنجيل يشار إلى أماكن ليست بقليلة على أن التغيير كان وليد استجابة لا للمسيح بل للحق .. أن أصبح مسيحيا، هذا معناه أن أؤمن بالحق .. أطيع الحق .. وهذا ما وصف به الرسول

بولس أهل رومية "لكنكم أطعتم من القلب صورة التعليم التى تسلمتموها" (رو ٦: ١٧). وواضح من هذه الآية أن الكارزين بالمسيح فى العصور الأولى كانوا يقدمون عقيدة خاصة بالمسيح.

قد يعترض البعض على هذا الرأى .. وأريد أن أقدم بعض الاعتراضات والرد عليها.

أ - قد يقول البعض إن مثل هذه الكرازة التى أدعو إليها والتى تخاطب العقل قد تؤدى فى النهاية إلى أن ينتفخ بعض الناس بفكرهم. ولا شك أن هذا أمر محتمل. وعلينا أن نتحرز من هذا الخطر. لكن ليس معنى هذا أن نتجنب دور العقل. فينبغى أن نضع فرقا بين تملق العقل البشرى (وهو مايجب أن نتجنبه) وبين احترام القدرة البشرية على التفكير (الأمر الذى ينبغى لنا أن نعمله).

ب - هل مثل هذه الكرازة التى تعتمد على الإقناع تحرم غير المتعلمين من سماع الإنجيل؟

أقول: لا ... أو على الأقل لا ينبغى أن يحدث هذا. وكما قال بولس: "نحن ملتزمون أو مدينون للحكماء والجهلاء" (رو ١: ١٤). إن الإنجيل لكل الناس مهما اختلفت درجات علمهم ونوعية الكرازة التى أنادى بها والتى تكرز بالرب يسوع فى ملئه هى كرازة للكل ... للأطفال والكبار .. للمثقفين ولغير المثقفين. لبلاد الغرب ولبلاد الشرق. فكرازتنا ليست كرازة فلسفية أكاديمية تتضمن أساليب وعبارات معقدة. بل كرازة منطقية تعتمد على الإقناع وتخاطب العقل.

وكل إنسان يتمتع بعقل ومنطق سواء كان متعلماً أم جاهلاً.

لعل عقول الجميع لم تُدرب على التفكير بأسلوب معين، وعلينا بالطبع أن نراعى الفرق بين أصحاب الفكر المباشر وغير المباشر. بيد أن الجميع يفكرون ... كل البشر يفكرون. لأن الله خلق البشر كائنات مفكرة.

وتعاليم الرب يسوع نفسه ولو أنها كانت جميلة وسهلة، ولكنها جعلت الناس تفكر. فقد كان يضمنها حقائق عظيمة عن الله والإنسان، عن نفسه وعن الملكوت، عن هذه الحياة وعن حياة الدهر الآتى، وغالبا ماكان ينهى أمثاله بسؤال يتطلب إعمالاً للفكر حتى يرغم سامعيه أن يفكروا ويصلوا إلى رأى بالنسبة للموضوع محل المناقشة.

إن واجبنا أن نقدم كلمة الله مفصلة بالاستقامة (٢ تى ٢: ١٥) بحيث تكون سهلة واضحة مفهومة حتى يستطيع الناس أن يستوعبوها وإلا فمن يسمع ولا يفهم يأتى الشرير ويخطف ما قد زرع فى قلبه (مت ١٣: ١٩). إنى أخشى أن تعقيداتنا فى شرح الكلمة أحياناً تعطى الشيطان الفرصة التى كان يترقبها، الأمر الذى لا ينبغى أن يحدث.

جـ - قد يقول البعض إن الكرازة التى تخاطب العقل تبطل عمل روح الله، وتلغى دوره فى الكرازة. فكيف تكون هناك كرازة بدون قوة الروح القدس؟ .. إنه لمن المحزن أن يقول أحد إن قيام أى شخص بتقديم تعليم من الكتاب ويستخدم دلائل وبراهين ليبين الحق فيه.. يعد دليلاً على الثقة بالذات أو عدم الإيمان. وأن يفترض أنه إذا كان لنا ثقة وإيمان فى الروح القدس ينبغى أن

نتجاهل كل التعاليم والأدلة .. إن الحقيقة هى العكس، فأن أضع الروح القدس والكرازة بالإنجيل القائمة على العقل على طرفى نقيض، هذه هى المباينة الكاذبة.

إن ما رفضه بولس حسب قوله لأهل كورنثوس هو حكمة العالم (كمادة لرسالته)، وفصاحة اليونانيين (كأسلوب لوعظه). وبدلاً من حكمة العالم كان يعتزم أن يكرز بالمسيح وإياه مصلوباً.

وبدلا من فصاحة اليونانيين كان يعتمد على قوة الروح القدس، لكنه رغم ذلك كان يستخدم التعليم والحجج فى حواره.

قال مؤلف كتاب (الايمان المسيحى فى العالم الحاضر). ينبغى أن يكون هناك عمل خفى لروح الله فى الميلاد الثانى. وبدون هذا العمل تكون كل خدمتنا أو كرازتنا وحججنا بلا فائدة. بيد أنه قد يكون الحوار غير كاف، لكن ذلك ليس معناه أنه غير ضرورى، أو ما يفعله الروح القدس فى الميلاد الثانى ليس هو أن يجعل الإنسان مسيحيا بغض النظر عن الأساس بل على العكس هو ينير عينيه لكى يجعله يبصر الأدلة والبراهين الكتابية.

قال مؤلف كتاب (أسئلة أساسية فى اللاهوت) إن الكرازة غير المقنعة لا يمكن أن تكون مقنعة بمباشرة الروح القدس ... ولا تناقض بينالإ قناع وقوة روح الله العاملة، واتكال الرسول بولس على الروح القدس لم يجعله يتغاضي عن إعمال فكره وتقديم حججه.

وهكذا فى كرازتنا بالإنجيل ينبغى أن نوضح كل الحقيقة ونخاطب الشخص

(بكل عقله وقلبه وإرادته) بكل حقائق الإنجيل (المسيح المتجسد .. المصلوب .. المقام .. الممجد الذى سيأتى ثانية). ينبغى أن نحث عقله وقلبه لكى يغير إرادته.

وخلال ذلك كله ينبغى أن تكون ثقتنا فى الروح القدس .. ليس لنا الحرية أن نقدم صورة مبتورة عن شخصى المسيح (كأن نقدمه كالإنسان وليس كالله .. حياته .. وليس موته .. صلبه وموته .. وليس قيامته .. المخلص وليس السيد.

وليست لنا الحرية أن نطلب استجابة جزئية (كاستجابة العقل وليس القلب .. أو القلب وليس العقل .. أو العقل والقلب دون الإرادة. هدفنا أن نكسب الشخص ككل للمسيح. وهذا يتطلب قبوله للمسيح بعقله وقلبه وإرادته.

إنى أصلى بلجاجة كى يقيم الله فى هذه الأيام جيلاً جديداً من المسيحيين الذين يستطيعون أن يحملوا لواء الدفاع عن المسيحية، وإبلاغ رسالتها بأمانة ونجاح، بحيث يكونون أمناء للكلمة حتى النهاية، واثقين تماماً فى قوة الروح القدس، وعلى بينة جلية بالأطروحات الحديثة للإنجيل، قادرين على الربط بينها وبين الإنجيل بطريقة سلسلة تنم عن تمكنهم ومقدرتهم، وإحاطتهم بكل مايتعلق برسالتهم. ويستطيعون أن يستخدموا عقولهم فى ربح عقول الآخرين للمسيح.

سادسا: الخدمة ومواهبها

نتناول الآن أهمية دور العقل فى الخدمة المسيحية. فينبغى أن نستخدم عقولنا فى كل أنواع الخدمة وخاصة الخدمة الرعوية فى الكنيسة. وثمة اهتمام بالغ ومتجدد فى هذه الأيام يدور حول الخدمة وحول مواهب الروح. فالمواهب

الروحية كلها (وهى كثيرة) قصد بها تقديم خدمة فى ناحية ما. وقد أعطيت "للمنفعة" (١ كو ١٢: ٧). وقصد بها بناء كنيسة الله، جسد المسيح لينمو ويصل إلى درجة الكمال فى المسيح.

ومن أهم المواهب التى ينبغى أن نجد فى إثرها هى المواهب التعليمية لأنه بهذه المواهب تبنى الكنيسة .. فهى مواهب هامة للراعى والشيخ الذى له دور رعوى في الكنيسة المحلية، وسوف نستعرض طبيعة خدمة الراعى، والمؤهلات اللازمة لها.

إن الخدمة المعينة للراعى هى خدمة رعوية. والخدمة الرعوية هى بالضرورة خدمة تعليمية. فالخادم تكون خدمته تعليمية. ونعنى بذلك أن الخادم هنا هو القس، الراعى، الذى اختاره المسيح (رئيس الرعاة) كى يعتنى بجزء من قطيعه، وكُلف بصفة خاصة بتغذيتهم (أى بتعليمهم). لذلك يقول بولس لأساقفة كنيسة أفسس "إحذروا إذاً لأنفسكم ولجميع الرعية التى أقامكم الروح القدس فيها أساقفة لترعوا (لتغذوا. لتعلموا) كنيسة الله التى اقتناها بدمه" (أع ٢٠: ٢٨). كذلك بطرس الرسول الذى قال له الرب ثلاث مرات (بعد القيامة) "ارع غنمى" (يو ٢١: ١٥ - ١٧). كتب هو بدوره مخاطباً الشيوخ قائلا: "ارعوا رعية الله التى بينكم" (١ بط ٥: ٢).

وإذا تركنا كل التشبيهات المتعلقة بالخدمة الرعوية، نجد أنه من أهم المسئوليات الملقاة على قسوس الكنيسة هى إحضار كل إنسان كاملاً فى المسيح (كو ١: ٢٨). ولكى يتم هذا ينبغى أن ينادى بالمسيح حسب قول الكتاب

"منذرين كل إنسان ومعلمين كل إنسان بكل حكمة" (كو ١: ٢٨).

وهكذا من خلال معرفة المسيح بحسب ما صوره لنا الكتاب المقدس، وكما أعلن لنا من خلال الخدمة، يستطيع المسيحى أن يصل إلى مرحلة النضج الروحى.

ومؤهلات الخدمة تتفق مع طبيعتها .. وكل خادم وراع ينبغى أن يكونوا ذوى إيمان كتابى وموهبة التعليم بهذا الإيمان .. ينبغى أن يكون ملازماً للكلمة الصادقة بحسب التعليم (تى ١: ٩) قادراً أن يعظ بالتعليم الصحيح (١ تى ٤: ١٣، ٢ تى ٢: ١٥). وينبغى أن يكون صالحاً للتعليم (١ تى ٣: ٢، ٢ تى ٢: ٢٤) .. وقادراً على دحض أفكار المقاومين، ومخلصا لتعاليم الرسل وقادراً على تفصيل كلمة الحق بالاستقامة.

هذا يتطلب منه أن يدرس .. ليعد للخدمة وليمارس مايدرسه عمليا .. وبحسب ماكتب الرسول بولس عليه أن يظهر نفسه كخادم لله "ليس فى صبر كثير فى شدائد، وليس فى طهارة. فى أناة فحسب، بل فى علم أيضاً" (٢ كو ٦: ٤ - ٦). قالى د. بلى جراهام فى محاضرة ألقاها أمام ٦٠ خادم فى نوفمبر ١٩٧٠ .. إنه إذا كان سيرجع به التاريخ إلى الوراء، ويبدأ خدمته من جديد فهو سيدرس ثلاثة أضعاف مادرسه. وقال: لقد وعظت كثيراً لكننى درست قليلاً.

وقال أحدهم: إذا أعطونى ثلاث سنوات لأخدم الرب فيها. فإنى سأقضى منها سنتين فى الدراسة والإعداد. كثيرا ما أصلى إلى الرب كى يدعو مزيداً من الرجال للخدمة فى أيامنا هذه، وأن يكونوا من ذوى العقل اليقظ النشيط، ومن

ذوى الإيمان الراسخ بكل تعاليم الكتاب، تواقين للقيام بخدمة التعليم. ليت الرب يرسلهم إلى كل المدن الكبيرة والجامعات فى شتى أنحاء العالم، ويحذون حذو بولس الرسول إبان إقامته فى أفسس، وماعمله من خدمة فى ياسون (أع ١٧). أطلب من الرب أن تكون خدمتهم قائمة على مخاطبة العقل. يفسرون ماجاء فى أسفار العهد القديم، ويبرزون الصلة بينه وبين العهد الجديد. ويوضحون هذه الأمور لعالمنا الحاضر. وألا تقتصر هذه الخدمة الأمينة التى تساندها يد الرب الصالحة - على الوصول بأعضاء الكنائس التى يخدمونها إلى مرحلة النضج المسيحى فحسب، بل أن تنتشر بركاتها وتتزايد أكثر فأكثر بنعمة الرب.

الفصل الرابع

السلوك حسب المعرفة

فى بداية هذا الكتيب حذرت من المخاطر البالغة الناجمة عن التحول من التجاهل العقيم لدور العقل إلى الإفراط العقيم فى العقلانية (Ayper - intellec- tualism) لكن من السهولة أن نتجنب هذا إذا تذكرنا أمراً واحداً وهو أن الله لا يريدنا أن نجعل المعرفة فى حد ذاتها هدفاً، بل وسيلة لتحقيق أهداف أخرى.

وقد حاولت أن أحدد باختصار، ستة مجالات من الحياة المسيحية يلعب فيها العقل دوراً بارزاً. ألا وهى: العبادة المسيحية - القداسة - الإيمان - الإرشاد - الكرازة - الخدمة.

وإذا كانت ممارسة هذه الأمور تستحيل دون استخدام العقل واكتساب بعض المعرفة الكتابية، فيجب علينا أن ندرك أن النتيجة المتوقعة للمعرفة الكتابية هى أنها لابد وأن تؤدى بنا إلى هذه الأمور وتعمق اختبارنا لها.

إن المعرفة تستلزم مسئولية السلوك. أى أن تترجم المعرفة الكتابية إلى سلوك سوى.

تعالوا بنا نتأمل هذه الأمور بتوسع:

أولا: المعرفة ينبغى أن تؤدى إلى عبادة

إن معرفة الله الحقيقية ينبغى ألا تملأنا كبرياءً وغروراً (العلم ينفخ)، بل بالحرى تدفعنا إلى أن نسقط على وجوهنا أمام الله ونصرخ مع بولس قائلين: "ياالعمق غنى الله وحكمته وعلمه. ماأبعد أحكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء" (رو ١١: ٣٣). وإذا تجاهلنا دور المعرفة، أو تقلص دورها فى حياتنا، فهذا معناه أن هناك شيئاً خاطئاً فينا. وعندما نقرأ كلمة الله بوعى وفهم نتعلم منها. ينبغى أن تلتهب قلوبنا فى داخلنا (لو ٢٤: ٣٢). وكلما عرفنا الله أكثر أحببناه أكثر. ولقد حذّر أحدهم من العبادة الغير مقترنة بالمعرفة. كما حذرنا أيضاً من المعرفة الغير مقترنة بالعبادة.

ثانيا: ينبغى أن تقود المعرفة إلى الإيمان

لقد رأينا من قبل أن المعرفة أساس الإيمان وهى التى تجعل الإيمان شيئاً معقولاً (أو منطقيا).

فى (مز ٩: ١٠) يقول المرنم: "ويتكل عليك العارفون اسمك". إن معرفتنا بطبيعة الله وصفاته هى التى تولد فينا الإيمان. لكن إن كنا لا نستطيع أن نؤمن بدون معرفة فينبغى أيضاً أن لا نعرف بدون إيمان.

أى أن إيماننا ينبغى أن يدرك كل الحق الذى أعلنه الله لنا، ورسالة الله قد تكون بلا فائدة إذا لم تجد فى قلب السامع إيمانا (عب ٤: ٢). لذا نري أن الرسول بولس لا يطلب فى صلاته أكثر من أن الله ينير عيون أذهاننا لنعلم ما هى عظمة قدرته التى تجلت فى القيامة. وأضاف الرسول أن هذه القوة التى تممها الله فى المسيح متاحة لنا نحن المؤمنين (أف ١: ١٨ - ٢٠).

إن الخطوة الأولى والأساسية هى أن ندرك بعقولنا عظمة قدرة الله وينبغى أن يؤدى بنا هذا إلى أن تعمل قوته فينا وفى حياتنا بالإيمان.

ثالثا: المعرفة ينبغى أن تقود إلى القداسة

لقد تأملنا فى بعض الطرق التى من خلالها يمكن أن يتغير سلوكنا إذا أدركنا بوضوح ما ينبغى أن نكون عليه، ومانحن عليه الآن فى المسيح. لكن دعونا الآن نرى كيف أنه كلما زادت معرفتنا زادت مسئوليتنا من ناحية ترجمتها إلى ممارسة وسلوك.

تعالوا بنا نتأمل بعض الشواهد الكتابية المتعلقة بهذا الموضوع:

فى (مز ١١٩) نرى فيضاً من التطلعات إلى معرفة وصايا الله .. لماذا؟ ... لا لكى نعرفها بل بالأحرى كى نطيعها ونحفظها. لذلك يقول المرنم "فهمنى فألاحظ شريعتك وأحفظها بكل قلبى" (مز ١١٩: ٣٤). ويقول الرب يسوع "إن علمتم هذا فطوباكم إن عملتموه" (يو ١٣: ١٧). ويقول الرسول بولس: "وماتعلمتموه وتسلمتموه وسمعتموه ورأيتموه فىّ فهذا افعلوا" (فى ٤: ٩). ويشدد يعقوب على نفس المبدأ إذ يحث قراءه على أن يكونوا "عاملين بالكلمة

لا سامعين فقط". ويحذرهم قائلا: " إن الإيمان بدون أعمال ميت فالشياطين يؤمنون" (يع ١: ٢٢ - ٢٥، ٢: ١٤ - ٢٦).

شبه أحد المبشرين .. المسيحى الذى يفتقر إلى الطاعة بالطفل المصاب بالكساح، فقال: إن الكساح ينجم عنه طفل برأس كبيرة وأقدام عليلة. فعلينا ألا نكتفى بمجرد مناقشة الكلمة وفهمها فحسب بل أن نحفظها ونسلك فيها. ينبغى ألاّ يكون الإنسان أذناً فقط، أو رأساً فقط، أو لساناً فقط، أو قدماً فقط، بل يجب أن نسخر كل أعضائنا آلات بر لله.

رابعا: المعرفة ينبغى أن تؤدى إلى محبة

كلما عرفنا أكثر إزددنا شوقا لكى نشارك الآخرين فيما نعرفه، ونستخدم هذه المعرفة فى خدمتهم سواء كانت للكرازة أو الخدمة.

أحياناً تعوق محبتنا استخدامنا للمعرفة، فالمعرفة فى حد ذاتها قد تكون مؤلمة للآخرين، لكنها ينبغى أن تستخدم بحكمة وحساسية خاصة، وهذه الحساسية تنبع من الحب. ولعل هذا ماكان يدور فى ذهن الرسول بولس عندما كتب "العلم ينفخ ولكن المحبة تبنى" (١ كو ٨: ١).

كان الرسول يتكلم فى هذا الجزء عن رجل يعرف. كان يعرف أن الله واحد وأنه ليس وثن فى العالم، وأن ليس إله آخر .. إلا واحد. ولهذا لا يوجد سبب لاهوتى لمنعه من أكل الطعام الذى قدم للأوثان. لكن توجد بعض الأسباب العملية التى قد تمنع من أكل ما ذبح للأوثان .. فبعض المؤمنين ليست لديهم هذه المعرفة. ولهذا فضمائرهم ضعيفة، وقد يرتابون ويتشككون. فقد كانوا فى

السابق وثنيين، وبعد الإيمان وجدوا أنهم لا يستطيعون أن يأكلوا ما ذبح للأوثان بضمير صالح.

هنا يطلب الرسول بولس من المؤمنين الأقوياء المتعلمين أن لا يأكلوا ما ذبح للأوثان لئلا يعثروا الأخ الضعيف. هو له مطلق الحرية أن يأكل أو لا يأكل، لكن المحبة التى فى داخل قلبه تحد هذه الحرية (التى نالها بالمعرفة العميقة). وربما من خلال هذا المنطلق قال الرسول بولس بعد ذلك: "إن كانت لى نبوة وأعلم جميع الأسرار وكل علم .. ولكن ليس لى محبة فلست شيئاً (١كو ١٣: ٢).

دعونا نجعل هذه التحذيرات محل اهتمامنا .. إن المعرفة ضرورية فى الحياة والخدمة المسيحية، وإذا لم نستخدم عقولنا التى أعطاها لنا الله، فنحن نعيش فى حياة الضحالة الروحية، ونحرم أنفسنا من كثير من غنى النعمة التى لنا فى المسيح .. وفى ذات الوقت أعطيت لنا المعرفة كى نستخدمها .. ينبغى أن تتمخض عن عبادة حية - إيمان عظيم - قداسة عميقة - خدمة أفضل .. وما نحتاجه نحن لا معرفة أقل، بل معرفة أكثر طالما أننا نسلك فى حياتنا على ضوئها.

إذا سألت سؤالا .. كيف أنال هذه المعرفة؟ لا أجد جوابا أحسن مما قاله أحدهم: لكى ننال المعرفة الإلهية ينبغى أن نجمع بين اعتمادنا على روح الله من جهة، وبين ما نقوم به من أبحاث من جانبنا من جهة أخرى.

دعونا ألاّ نحاول الفصل بين هذين الأمرين اللذين جمع الله بينهما .. أو بلغة أخرى ينبغى أن نصلى وأن ندرس .. لعل هذا ماقيل لدانيال "لا تخف يادانيال

لأنه من اليوم الأول الذى فيه جعلت قلبك للفهم ولإذلال نفسك قدام إلهك سُمع كلامك" (دا ١٠: ١٢). والواقع أن تركيز الذهن للفهم والاتضاع أمام الله لمن دلالات تعطش الإنسان إلى معرفة الحق الإلهى. ولابد أن يستجيب الله لهذا التعطش، لأن الله وعدنا قائلاً: "أطلبوا تجدوا".

لعل أحسن ختام نختم به هذا الجزء هو قول الحكيم "يابنى إن قبلت كلامى وخبأت وصاياى عندك حتى تميل أذنك إلى الحكمة، وتُعطِف قلبك على الفهم. إن دعوت المعرفة ورفعت صوتك إلى الفهم. إن طلبتها كالفضة وبحثت عنها كالكنوز. فحينئذ تفهم مخافة الرب وتجد معرفة الله. لأن الرب يعطى حكمة: "من فمه المعرفة والفهم" (أم ٢: ١ - ٦).

هذا الكتاب

أعمق دراسة عن دور العقل فى الحياة المسيحية ، فالمسيحية تؤكد دور العقل ولا تلغيه .

وفى هذا الكتاب تجد دراسة عن طريقة اختيار شريك الحياة هل هى بالعقل أم بالارشاد وكيف ؟ وهل ثمة تعارض بين العقل والايمان ؟ وهل نكرز بالمنطق أم بالبساطة ؟ وما هو دور العقل فى العبادة ؟ هل نعبد بالروح أم بالذهن ؟

هذه بعض موضوعات الدراسة التى يقدمها الكاتب القدير « جون ستوت » المعروف بعمق دراساته ، وقد سبق أن قدمنا العديد من أعماله التى لاقت نجاحاً عظيما .



١٠١٠١٣٤٦